سلسلة الخطب المنبرية - خطب التوحيد

التوحيد

أهميته - وما يتعلق به - وما ينافيه

الخطبة: ﴿١٣﴾ **أمور تنافي التوحيد (٥)**

الغلو في الصالحين.

خطبة جمعة ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

١٦/جمادى الأولى/١٤٤٥هـجرية

سلسلة الخطب المنبرية - خطب التوحيد

التوحيد

أهميته - وما يتعلق به - وما ينافيه

الخطبة: ﴿١٣﴾ **أمور تنافي التوحيد (٥)**

الغلو في الصالحين.

خطبة جمعة ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

١٦/جمادى الأولى/١٤٤٥هجرية

محفوظة جميع الحقوق

اسم الكتاب: سلسلة خطب التوحيد
المؤلف: أبو عبدالرحمن رشاد بن أحمد الضالعي
مقاسات الكتاب: ١٧×٢٤
تاريخ التنسيق: ١٤٤٥هـ
الطبعة: (الأولى)
دار الحديث السلفية - الضالع - اليمن

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

سلسلة خطب التوحيد

أمور تنافي التوحيد٥

إنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعْلَمُوْا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُوْرِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها الناس، لا زلنا نذكر -بعون الله سبحانه وتعالىٰ- الأمور التي تنافي توحيد الله -جل وعلا- سواء كانت من الأقوال أو من الأفعال.

وإن من الأمور المنافية للتوحيد والتي كانت سببًا للشرك في كثير من الأحوال لهو:

الغلو في الصالحين، الغلو في أهل الصلاح والدين والاستقامة، والغلو معناه المجاوزة، مجاوزة الحد، سواء كان في مدحهم وذكرهم والثناء عليهم بعد موتهم، فيمدحهم ويثني عليهم بما لا يكون إلا لله سبحانه وتعالىٰ، أو يجاوز في وصفهم وهم أحياء في هذه الحياة الدنيا، أو كان هذا الغلو بالأفعال، سواء ما يفعله معهم في حياتهم من التبرك بهم أو التمسح بهم أو اعتقاد عصمتهم، أو الغلو فيهم بعد موتهم، فكل هذا الغلو هو من الأسباب الرئيسية التي أوقعت كثيراً من هذه الأمة ومن الأمم قبلها في الشرك بالله سبحانه وتعالىٰ، وما دخل الشرك علىٰ الناس في كثير من الأحوال إلا بسبب الغلو في الصالحين.

وإنما كان الغلو في الصالحين لأن النفوس بطبعها تميل إلىٰ تعظيم أهل الصلاح ومحبتهم، فقد يستهويهم الشيطان ويستزلُّهم بأفعال وأقوال في هؤلاء الصالحين هي منافية لهذا الدين، ولذا قال بعض الأئمة: (إن من أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل)، فالغلو والمجاوزة في أهل الفضل والصلاح من أوسع أودية الباطل وأعظم أبواب الشرك الذي وقع في هذه الأمة وفي الأمم قبلها.

ولذا ربنا -عز وجل- حذرنا وحذر الأمم قبلنا من ذلك، فقال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [سورة النساء:١٧١]، وقال الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ [سورة المائدة:٧٧]، لا تغلوا في الدين ولا تجاوزوا فيه.

وجاء عند أحمد(٣٢٤٨)، وابن ماجه(٣٠٢٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ** -أي احذروه- **فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ**».

الغلو في الصالحين ومجاوزة الحد فيهم أوقع بعض الناس في أن ادعىٰ لبعض الصالحين الإلهية، وهو غير راض بفعله لكن ادعىٰ أنه إله، أو ادعىٰ أنه يعلم الغيب، أو ادعىٰ أنه يتصرف في الكون، أو ادعىٰ أنه يعلم كل ما يكون، أو ادعىٰ أن من فضله الدنيا والآخرة، كل هذه وقعت لأناس قد ينتسبون إلىٰ العلم بسبب الغلو في أهل الفضل والصلاح، ولذا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حذر من هذا الأمر في سائر الأحوال، حذر منه في حياته أن يُغلىٰ فيه في حياته وحذر أن يُغلىٰ فيه بعد موته.

جاء في صحيح البخاري(٣٤٤٥) عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ**»، الإطراء هو المجاوزة في المدح (لا تطروني) أي لا تجاوزوا في مدحي كما فعلت النصارىٰ مع عيسىٰ ابن مريم الذي هو كلمة الله وروحه وهو عبد من عباد الله، فقالوا فيه: إنه الله. وقالوا فيه: إن الإله ثلاثة وعيسىٰ واحد منهم، جاوزوا فيه حتىٰ وصفوه بما لا يجوز، وقالوا: إنه ابن الله، ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٣٠]، فنهىٰ الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أمته عن ذلك، فقال: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»، أنا عبد من عباد الله صِفُوني بما وصفني الله به، قولوا: عبدالله ورسوله كما قال الله -جل وعلا-.

وهكذا نهىٰ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن المدح الذي فيه المجاوزة مطلقاً، جاء في الصحيحين عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ سمع رجلاً يمدح رجلاً آخر، قال له: «**وَيْحَكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ**»(١). أي بفعلك هذا الذي تمدحه قد يصيبه الغرور، قد يصيبه الفخر والتعالي فيحصل الضرر في الدين.

وجاء في صحيح مسلم(٣٠٠٢-٦٨-، -٦٩-) عن المقداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه رأىٰ رجلاً يمدح بعض الناس فأخذ تراباً وحثاه في وجهه، فقال له عثمان: ما حملك علىٰ ذلك؟ قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ**»، وذلك لما يسببه المدح من الغلو.

وهكذا جاء عند أحمد(١٨٣٩)، والنسائي(٣٧٧٣)، عن ابن عباس أن رجلاً قال للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ! -قرن مشيئة الرسول بمشيئة الله، فأنكر عليه الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، قال: «**أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عَدْلًا**»، جعلتني مساوياً معادلاً لله، حتىٰ في الكلمة ما رضيها رسول الله ﷺ فنهاه أن يقول له: ما شاء الله وشئت، لم يرض بقرن مشيئته بمشيئة الله خوفاً من الغلو، ولما في هذا اللفظ من تشريك حتىٰ يتوهم السامع مساواة مشيئة الرسول لمشيئة الله، «**أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عَدْلًا، بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»، اقتَصِرْ علىٰ ذلك.

وهكذا جاء عند أحمد(١٦٣٠٧)، وأبي داود(٤٨٠٦) عن عبدالله ابن الشخير، قال أتيت النبي ﷺ في وفد بني عامر فقلنا: يا رسول الله أَنْتَ سَيِّدُنَا. وفي رواية: أَنْتَ سَيِّدُ

---

(١) البخاري(٦٠٦١)، ومسلم(٣٠٠٠-٦٥-).

قُرَيْشٍ. وهذا كلام في الجملة صحيح، فهو سيد قريش وهو سيد ولد آدم، وهو القائل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ**»(١). لكن خشي الرسول ﷺ من الغلو، فلما قالوا له هذه المقالة: (أنت سيدنا)، أو (أنت سيد قريش)، قال: «**السَّيِّدُ اللهُ**»، قالوا: أَنْتَ أَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا. أي أعظمنا غنىٰ، قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ**»، أي قولوا بهذا القول، «**أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**»، احذروا، احذروا أن يستجريكم الشيطان فيجعلكم جَرِيًّا له في هذه الأمور فتكونون مبلغين أو قائلين لما يريد الشيطان(٢).

وهكذا جاء عند أحمد(١٣٥٩٦)، والنسائي في السنن الكبرىٰ(١٠٠٠٧)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن ناسًا أتوا النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقالوا: يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَيَا سَيِّدَنَا

---

(١) رواه البخاري(٤٧١٢)، ومسلم(١٩٤ -٣٢٠-)، والترمذي(٣١٤٨).

(٢) قال القاري في مرقاة المفاتيح (٧/ ٣٠٧٥): («وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ» أَيْ: لَا يَتَّخِذْنَّكُمْ جَرِيًّا بِفَتْحِ الْجِيمِ وَكَسْرِ الرَّاءِ وَتَشْدِيدِ التَّحْتِيَّةِ، أَيْ: كَثِيرَ الْجَرْيِ فِي طَرِيقِهِ وَمُتَابَعَةِ خَطَرَاتِهِ، وَقِيلَ: هُوَ مِنَ الْجَرَاءَةِ بِالْهَمْزَةِ أَيْ: لَا يَجْعَلَنَّكُمْ ذَوِي شَجَاعَةٍ عَلَىٰ التَّكَلُّمِ بِمَا لَا يَجُوزُ. وَفِي النِّهَايَةِ أَيْ: لَا يَغْلِبَنَّكُمْ فَيَتَّخِذَكُمْ جَرِيًّا أَيْ: رَسُولًا وَوَكِيلًا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا مَدَحُوهُ، فَكَرِهَ لَهُمُ الْمُبَالَغَةَ فِي الْمَدْحِ فَنَهَاهُمْ عَنْهُ، وَالْمَعْنَىٰ: تَكَلَّمُوا بِمَا يَحْضُرُكُمْ مِنَ الْقَوْلِ وَلَا تَتَكَلَّفُوهُ، كَأَنَّكُمْ وُكَلَاءُ الشَّيْطَانِ وَرُسُلُهُ تَنْطِقُونَ عَلَىٰ لِسَانِهِ).

وقال الشيخ ابن عثيمين في القول المفيد (٢/ ٥١٦): (قوله: "ولا يستجرينكم الشيطان": استجراه بمعنىٰ: جذبه وجعله يجري معه؛ أي: لا يستميلنكم الشيطان ويجذبنكم إلىٰ أن تقولوا قولا منكرا؛ فأرشدهم صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ ما ينبغي أن يفعل، ونهاهم عن الأمر الذي لا ينبغي أن يفعل؛ حماية للتوحيد من النقص أو النقض. وقال في النهاية: "لا يستجرينكم الشيطان"؛ أي: لا يستغلبنكم فيتخذكم جريا؛ أي: رسولا ووكيلا).

وَابْنَ سَيِّدِنَا. قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ**».

وهو رسول الله والكلام الذي قالوه حق، فهو سيد الناس وهو خيرهم وأفضلهم، ولكن أغلق الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذا الباب، خشي من حصول الغلو في الألفاظ والكلام الذي يتبعه الغلو في الأفعال، (قولوا بقولكم)، أذن لهم ولكن (لا يستهوينكم الشيطان) لا يجعلكم الشيطان في هُوة سحيقة فتهلكون، (أنا محمد عبدالله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله)، الله جعلني عبداً ورسولاً فلا أحب أن تجعلوني فوق هذه المنزلة.

اليوم أناس من الغلاة في الدنيا جعلوا بعض المخلوقين فوق هذه المنزلة، جعلوا بعض المخلوقين يتصرفون في الكون، فالصوفية والرافضة وأمثالهم يعتقدون أن أوليائهم وكبارهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون، ويدّعون أن لهم قدرة فيما لا يكون إلا لله سبحانه وتعالىٰ، وصفوهم بالإلهية، وعظموهم بما لا يجوز التعظيم به، وكلُّ هذا يتبعه غلو في الأفعال، فيعبدونهم ويدعونهم من دون الله وتُصرف لهم كثير من العبادات من دون الله، نتيجةً لذلك الغلو الذي سبق بأقوالهم.

فهذا أمرٌ مما حذرنا منه نبينا -عليه الصلاة السلام- وحذر الناس في زمنه أن يحصل غلو فيه في حياته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

❊❊❊

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، كذلك حذَّرَنا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن نغلو فيه بعد موته، فإذا كان هذا في حقه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فكيف بغيره؟ وانظر كيف أخبر عن هلاك الأمم السابقة وضلالهم أنه كان بسبب غلوهم في الصالحين بعد موتهم، جاء في الصحيحين عن عائشة، وابن عباس، رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، قالت عائشة: وَلَوْلَا ذَاكَ لَأَبْرَزُوا قَبْرَهُ، -أي أظهر وأخرج- غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنَّ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا.[1]

انظر إلىٰ هذه السنة اليهودية، السنة النصرانية التي صارت فاشية في بلاد المسلمين، أَدْخَلُوا القبور في المساجد المبنيَّة، وبنوا مساجد علىٰ تلك القبور، وجعلوا القِبَاب علىٰ بعض القبور، تعظيماً لها حتىٰ عُبدت من دون الله، وهو أمر من أمر اليهود والنصارىٰ، ليس من أمر هذه الأمة، بل حذر منه نبينا في سائر حياته كما في هذا الحديث، وكما في حديث جندب في صحيح مسلم(٥٣٢ -٢٣-)، قال سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «**أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**».

فهذه وصية الرسول قبل أن يموت بخمس ليال، بل قال في الحديث المتقدم وهو في

---

(١) رواه البخاري(١٣٩٠)، ومسلم (٥٢٩ -١٩-).

سياق الموت، حديث عائشة: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، هذا قاله وهو في السكرات كان يُدخِل يده في ركوة ماء ثم يمسح بها جبهته من الشدة ويقول هذا الكلام محذراً لأمته من أخطر الأمور وهو سبب الشرك.

وجاء في الصحيحين عن عائشة، أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ -فيها صور للصالحين أو لبعض الأنبياء كعيسىٰ وأُمِّه-، فقال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»،[1] شرار الخلق الذي يفعل هذه الأفعال.

ولذا جاء في حديث ابن مسعود عند أحمد(٣٨٤٤)، وغيره أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**»، شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد؛ لأن هذا السبب ضلت به طوائف كثيرة من أمة محمد، عبدوا القبور، عبدوا الأولياء والصالحين، ذبحوا لهم، قربوا لهم النذور، خافوا منهم كخوفهم من الله أو أشد، تقربوا إليهم بكثير من القربات، بسبب التعظيم، بسبب بناء الأبنية بناء الأضرحة، بناء القباب علىٰ تلك القبور، حتىٰ أخرجها ذلك من حَيِّز أنها قبور إلىٰ أن صارت آلهة.

ولذا نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دعا الله تعالىٰ ألا يكون قبره كذلك، فاستجاب الله دعاءه، جاء عند مالك في الموطأ(٤٧٥) عن عطاء بن يسار مرسلاً، وجاء عند

---

(١) البخاري(٤٢٣)، ومسلم(٥٢٨ -١٦-).

أحمد(٧٣٥٨) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**» خشي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الغلو أن يُغلىٰ في قبره كما غُلي في قبور الصالحين فدعا الله تعالىٰ ألا يكون قبره وثنًا يُعبد، فاستجاب الله دعاءه، ولم يعبد قبره منذ أن مات إلىٰ يومنا هذا.

وجاء عند أحمد(٨٨٠٤)، وأبي داود(٢٠٤٢)، أن النبي ﷺ قال: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا**»، ومعنىٰ ذلك أي: لا تهملوها من الصلاة وتتركوا الصلاة فيها فتكون بمنزلة القبور، «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا**»، أي موسمًا تجتمعون فيه وتجتمعون عنده، «**وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**». أي في أيِّ موضع كنتم، صلوا عليّ، فإن الله قد وكّل ملائكة تبلِّغُه صلاة وسلام من يصلي ويسلم عليه من أمته، فنهىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن الاجتماع عند قبره لما يخشىٰ من اتخاذه وثنًا يُعبد من دون الله سبحانه وتعالىٰ.

فهذا من أعظم الغلو الذي أدخل علىٰ الناس الشرك، لأن الناس تميل نفوسهم إلىٰ تعظيم الصالحين، إذا مات الصالح رأوا من الإكرام له ومن الإحسان إليه أن يعظموه أن يعظموا قبره ويرفعوه، وهذا هو الغلو الذي نهىٰ عنه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولذا جاء أنه نهىٰ عن رفع القبور وأمر بتسويتها وأرسل عليا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بذلك كما في صحيح مسلم(٩٦٩)، قال له: «**لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ**»، أيُّ قبرٍ مرتفعٍ سوِّه ولا تجعله مرتفعًا، لأن رفعه فتنة.

ولذا كان من رحمة الله -جل وعلا- أنه لا يُعلم قبر نبي من الأنبياء إلا قبر نبينا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا بإجماع العلماء، أنه لا يُعلم تحديد قبر نبي من الأنبياء

إلا قبر محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وزاد بعضهم قبر نبي الله إبراهيم في منطقة الخليل بفلسطين، وفيه خلاف بين العلماء، وكل من ادَّعىٰ قبر نبي من الأنبياء غير ذلك فهو كاذب، كما يوجد في دعوىٰ قبر نبي الله هود أو بعض الأنبياء، كلُّ هذا غير صحيح، وهذا من رحمة الله أن أخفىٰ علىٰ الناس قبور الأنبياء حتىٰ لا يغلوا فيها، ولذا عمر رضي الله عنه حين فتح العراق ورأىٰ جثمان نبي الله دانيال أمر بإخفائه، أمر من كان موجوداً أن يحفروا قبوراً كثيرة في النهار ثم يدفنونه بالليل في قبر من تلك القبور لا يُعلم بعينه، خشية أن يفتن به الناس؛ لأن هذه فتنة عظيمة وقعت في هذه الأمة، سببّت لهم الشرك، وهي من الغلو.

ولذا انظر ما ذكره الله تعالىٰ عن أصحاب الكهف، لما ماتوا أراد بعض الناس أن يبنوا علىٰ قبورهم مسجداً، حين رآهم صالحين، ظن أن من التعظيم لهم أن يُبنىٰ علىٰ قبورهم مسجداً، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ﴾ [سورة الكهف:٢١].أي ما دام قد ماتوا فاردموا ذلك الغار وأغلِقوا عليهم ذلك الكهف، ﴿رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ﴾ [سورة الكهف:٢١] أي أصحاب الملك أصحاب السلطان الذي يأتي منهم البلاء في كثير من الأحوال، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾ [سورة الكهف:٢١]، سنبني علىٰ قبورهم مسجداً، ظنوا أن هذا من تعظيمهم وإكرامهم، وهذا عين الخطأ.

وانظر إلىٰ ما قص الله علينا عن الصالحين الذين عبدهم قوم نوح، أناس صالحون ماتوا فحصل لهم تعظيم، ثم عُبدوا من دون الله، فلما جاء نوح يدعوهم ويقول: اتركوا عبادة هذه الآلهات فهؤلاء بشر مثلكم، ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة نوح:٢٣]، هؤلاء خمسة رجال صالحين عبدهم قومهم وأبوا أن يستجيبوا لنبي الله.

وهكذا هذه الأمة، قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة النجم:١٩-٢٠]، اللات هو رجل صالح كان يَلُتُّ السويق للحجاج ويطعمهم، فلما مات، جعلوا علىٰ قبره نُصُبًا، وقيل جعلوا الصخرة التي كان يلت السويق عليها نُصبا، وعبدوه من دون الله، فبُعث الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو آلهة ووثن يُعبد من دون الله، بسبب الغلو.

فهذا الأمر ليس بالأمر اليسير بل هو أمر خطير، الغلو في الصالحين، سواء كان الغلو في حياتهم بإطرائهم ورفعهم فوق منزلتهم بالمدح والثناء، أو التمسح بهم أو التبرك بهم أو أن يُدَّعىٰ لهم ما لا يكون إلا لله من علم الغيب، أو التصرف في الكون، أو تُدَّعىٰ لهم العصمة، أو غير ذلك من الأمور، كل هذا من الغلو، أو كان هذا الغلو بعد موتهم ببناء المساجد علىٰ قبورهم بتعظيمها وتشييدها وإضاءتها وإسراجها، كل هذا مما هو سبب كبير في الشرك بالله تعالىٰ، ويؤثِّر في قلوب عامة الناس، ويصدقون ما يُروىٰ من الأباطيل حول تلك الأضرحة.

ذكر الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "الدر النضيد" قصة فيها عبرة، أن بعض القبور التي كانت في بعض البلاد اليمنية كان معظَّماً وعليه بناء وزخرفة وإضاءة وستور، قال: (فجاء بعض الجهلة ممن يرتادون القبور وممن يعتقدون فيها. فلما وصل إلىٰ هذا القبر ورأىٰ تعظيمه وإسراجه وستوره وما فيه، قال: لم يملك هذا المسكين نفسه أن قال: أمسيت بالخير يا أرحم الراحمين. قال: فانظر كيف صنع الغلو في قلب هذا المسكين حتىٰ اعتقد أن هذا المقبور هو الله -جل وعلا-). الدر النضيد ص(٢٤).

وهذا اليوم في ملايين من الناس في بلاد المسلمين، يعتقدون في هذه القبور ويعظمونها، بل يخاف أحدهم من أهلها أشد من خوفه من الله، ويعتقد أنهم سريعو النقمة، ويعتقد أن عقوبتهم نافذة، ويعتقد أنه إذا غضب عليه الولي لا ينجيه أحد، وإذا اشترىٰ أحدهم شيئاً سيارة أو شيئاً ذهب به إلىٰ ذلك المكان ليتبرك به، وكهذا أخذوا أتربتها فأكلوها، وأخذوا أتربتها فصلوا عليها وتمسحوا بها، وأخذوا المرضىٰ وأصحاب العاهات إلىٰ تلك القبور رجاء الشفاء، وذبحوا لها الذبائح، ونذروا لها النذور، وانفقوا لها الأموال، وهذا موجود في ملايين الناس ممن ينتسب إلىٰ الإسلام اليوم في اليمن وفي مصر وفي العراق وفي الشام فضلاً عن بلاد العجم، كل هذا من الغلو الشديد الذي أوقع الشرك في هذه الأمة.

نسأل الله -جل وعلا- بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أن يعيننا علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أذل الكفر والكافرين.

اللهم من أراد المسلمين بسوء فاجعل كيده في نحره، اللهم قنا وقِ المسلمين من شره.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان، اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في فلسطين.

اللهم عليك باليهود والنصارىٰ ومن أعانهم علىٰ المسلمين.

اللهم عليك باليهود والنصارىٰ والرافضة الزنادقة المعتدين.

اللهم كُفَّ شرَّهم وبأسهم عن الإسلام والمسلمين.

اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

١٦/ جمادىٰ الأولىٰ/ ١٤٤٥هجرية

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع